الحوار

د. محمد خضر إبراهيم
مدرس العقيدة والفلسفة في الكلية

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ٠

وبعـــــد

فالحوار فن من فنون النثر والمحادثة ، وصيغة متقدمة من صيغ التحاور والتفاهم ، وأسلوب من أساليب العلم والمعرفة ، ووسيلة من وسائل التبليغ والدعوة ، استعمله البلغاء والفصحاء فى كلامهم وعمدت إليه الشعوب فى تواصلها وتفاعلها مع غيرها ممن يحيط بهم ، واتخذه المفكرون والمربون أسلوبا ومنهجا فى تعليمهم واعتمده الأنبياء والرسل والمصلحون فى دعوة الناس إلى الخير والفضيلة والرشاد ٠ ومع إفرازات النظام العالمى الجديد سواء على صعيد الثقافة والقيم او على صعيد السياسة والاقتصاد تزايد الاهتمام بالحوار وتعمق الاقتناع به وبدوره فى تحقيق وفاق ثابت بين أبناء الأمة الواحدة وتفاهم مشترك بين الشعوب المختلفة على أساس قاعدة الكرامة والعدالة والمساواة حتى شاع استخدام الحوار على مختلف الصعد وفى شتى الميادين الثقافية والفكرية والحضارية فأصبح أحد الظواهر الهامة للعصر الحالى الذى يتميز بثورة المعلوماتية والاتصال التى هى إحدى ثمرات العلم المتفجرة عنه وبهذا قوى التواصل بين بنى البشر واتسعت دائرة الحوار وتنوعت موضوعاته بصورة لم تعرفها الإنسانية من قبل ٠

ومن خلال هذه المعطيات يبرز دور الحوار وتظهر أهميته فى تأسيس صيغة معرفية متجددة تزاوج الأفكار وتبادل الرؤى وتداول الطروحات من خلال سماع الرأي الآخر والإصغاء إليه والاهتمام به تحقيقا للتواصل العلمي والمعرفي وابتعادا عن العزلة والانكفات الذي لم يبق لهما مكان فى عالم اليوم ٠

ولابد من الإشارة إلى تنوع أشكال الحوار وتعدد موضوعاته بتنوع مقاصده وأغراضه ليواكب الحاجات الفطرية الإنسانية فكان منه ما يعنى بالجوانب التربوية التعليمية ومنه ما يعنى بالجوانب الثقافية المعرفية ومنه ما يعنى بتحديد العلاقة بين الاسم والشعوب ومنه ما يعنى بالصيغ والمناهج الدعوية ٠

ومن الأدلة على مشروعية الحوار أن القرآن الكريم استخدمه فى أبرز قضايا العقيدة والفكر ، وناقش أهم الموضوعات التى تعالج العلاقة بين الله تعالى وبين أبرز

مخلوقاته ، ولعل الحوار الأول هو ذلك الحوار الذى دار بين الله – عز وجل – وبين ملائكته فى شأن خلق آدم عليه السلام ، وقد جاءت تلك المحاورة بصيغة قال """ وقالوا """ وذلك فى قوله تعالى : " وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون " إلى قوله تعالى : " وما كنتم تكتمون"[1] ثم كان الحوار الثانى بين الله تعالى وإبليس ، وقد نقلت آيات القرآن الكريم صورا عدة لهذا الحوار الذى شكل مادة خصبة للتأملات الفكرية والتفسيرات الفقهية ، وابرز تلك الحوارات ما جاء فى آخر سورة (ص) فى قوله تعالى : " قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين ٠ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين " إلى قوله تعالى : " لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين "[2] ثم كان الحوار بين الله ورسله وأنبيائه (آدم ، ونوح ، ولوط، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد) والحوار بين هؤلاء الرسل وبين أقوامهم وأممهم و وهى كلها مادة تاريخية وأخلاقية وسياسية واجتماعية لا تنضب ، وسنحاول الوقوف على طرف من هذه الحوارات عند حديثنا عن نماذج من الحوار فى الكتاب والسنة ٠

<u>ولابد من الإشارة هنا إلى أن الحوارات التى ينقلها القران الكريم تحمل فى مضامينها وأبعادها المعاني الآتية[3] :</u>

١- أن الاختلاف سنة إلهية : يقول تعالى : " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات "[4]

٢- أن التباين فى وجهات النظر والاختلاف فى الأفكار رحمة للناس : يقول تعالى : " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين"[5] ، وقد جاء فى تفسيرها قولان أحدهما : أن معناه لولا أن الله يدفع بمن

١- سورة البقرة الآيات ٢٩ – ٣٣

٢- سورة ص الآيات ٧٥ – ٨٥

٣- الحوار الإسلامي المسيحي (ضرورة المغامرة) د ٠ سعود المولى ، دار المنهل اللبناني – بيروت ٠ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م ص ٣٣ – ٣٥

٤- سورة المائدة آية ٤٨

٥- سورة البقرة آية ٢٥١

أطاعه عمن عصاه كما دفع عن المتخلفين عن طالوت بمن أطاعه لهلك العصاة بسرعة العقوبة. قاله مجاهد ، والثانى أن معناه : لولا دفع الله المشركين بالمسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المسلمين وخربوا المساجد ٠ قاله مقاتل ومعنى لفسدت الأرض لهلك أهلها[1] ٠

٣- أن الفطرة الإنسانية التى فطر الله الناس عليها تتطلب قبول الآخر والحوار معه ، وفى هذا يقول الله تعالى : " ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين "[2] ، وقد ذكر المفسرون أن معنى الآية لو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم بحيث لا يخرج عنهم أحد جميعا مجتمعين على الإيمان لا يتفرقون فيه ولكنه لم يشأ ذلك لكونه مخالفا للمصلحة التى أرادها الله سبحانه ، ولما كان النبى - ﷺ - حريصا على إيمان جميع الناس أخبره الله بأن ذلك لا يكون ؛ لأن مشيئته الجارية على الحكمة البالغة والمصالح الراجحة لا تقتضى ذلك فقال أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين[3] ٠

٤- أن من مستلزمات الحوار الإيمان بالله والعمل الصالح والتواصى بالحق والصبر ، يقول الله تعالى : " والعصر ٠ إن الإنسان لفى خسر ٠ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر "[4] ، فالحوار إذن هو جوهر الرسالات السماوية وأساس الفطرة الإنسانية ، وهو طريق الرشد فى الدنيا والآخرة؛ ذلك أن الله تعالى غنى عن الناس ، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة ، ولكن حكمة الله فى الخلق وفى اختلاف الناس سنة لا تبديل لها ٠

إنها سنة التدافع الذى يعنى الحوار الدائم بالتى هى أحسن ، بالكلمة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عملا بقوله تعالى : " ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم "[5] ٠

١- زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ، عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى ، المنكتب الإسلامي بيروت – ط الثالثة ١٤٠٤ هـ ج ١ ص ٣٠٠

٢- سورة يونس آية ٩٩

٣- فتح القدير ، محمد بن على الشوكانى ، دار الفكر بيروت ج ٢ ص ٤٧٤

٤- سورة العصر الآيات ١ - ٣

٥- سورة فصلت آية ٣٤

وهكذا ، كان القرآن شهادة حقيقية على عملية التحول الجذرى الذى قام به الإسلام فى الفكر والعقيدة والنفس والمجتمع وهو شهادة صادقة على الذين وقفوا مع الدعوة الجديدة والذين وقفوا ضدها ، شهادة توجيه وإرشاد ومحاجة ومناقشة وحوار ووعد ووعيد وبهذا يكون القرآن غير منفصل عن حياة الناس بل هو فى عمق حياتهم الدينية والعلمية والفكرية .

ومن هنا يبرز الحوار ليكون أحد سبل الاتصال بين النبي المبلغ للوحى من جهة وبين البشر المأمورين باتباع الوحى من جهة أخرى وليس أدل على ذلك من أن فكرة الألوهية وهى الفكرة التى لا تقبل النقاش والمساومة وهو المبدأ الذي نادت به كل الرسالات السماوية ، هذه الفكرة على أهميتها ووضوحها نجد أن الحوار كان عاملا من عوامل تثبيتها وتقريرها عند من يفهمها فهما خاطئا غير صحيح كما فى قوله تعالى : "أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون . وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون . وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون . وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون "[1] .

ولأن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وتوجيه فقد سلك طرقا متعددة ومختلفة لإيصال تلك الهداية إلى المشمولين بها من بنى البشر الذين يتباينون عن بعضهم اجتماعيا وفكريا وعقليا وعقائديا ومن هنا جاء الخطاب القرآني بالشكل الذي يتناسب مع جميع المخاطبين كل حسب طبيعة إدراكه واستعداده الفكري فقد استعمل القرآن الخطاب الوعظي المباشر للذين كانت نفوسهم مستعدة للاستجابة للخير والرشاد ، واستعمل خطاب الأوامر والنواهي لمن كانت نفوسهم مستعدة للامتثال واستعمل الإنذار والتبشير والترهيب والترغيب للذين فى نفوسهم قابلية الخوف ولا يستجيبون إلا تحت تأثير الوعد والوعيد واستعمل خطاب تعرية الواقع النفسي والفكري لكشف الحقيقة لمن يحاولون إخفاءها أو تغطيتها حتى تساعد تلك التعرية فى إزالة الغشاوة عن العيون والعقول والبصائر واستعمل خطاب المجادلة العقلية المنطقية مستخدما الحجة والبرهان لإقناع المجادلين والمعاندين

١- سورة الأنبياء آية ٣٠ – ٣٣

الذين يستخدمون الجدل واللجاج الفكرى لمن يتخذ الجدل سبيلا للتضليل والغواية ومعتمدا الحوار الهادىء للذين يريدون الحق وينشدون الصواب والحقيقة[1] على حد قوله تعالى : " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن "[2] .

وقد ذكر كل من الزركشى والسيوطى جملة من القرائن تدلل على مشروعية الحوار فى القرآن من خلال استخدامه والمناقشة والمناظرة فى تثبيت الفكرة والدفاع عنها وذلك عندما أشار إلى أن القرآن يشتمل على جميع البراهين والأدلة والحجج وأنه ما من تقسيم أو تحديد ينبىء عن كليات المعلومات العقلية والفكرية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به لكنه أورده على عادة العرب دون دقائق المتكلمين والفلاسفة لأمرين :

أحدهما : بسبب ما قاله الله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم"[3] .

والثانى : أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام ، فان من استطاع أن يفهم بالأوضح الذى يفهمه الاكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذى لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن لغزا ،فأخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجلى صورة ليفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أثنائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء[4] .

وتأسيسا على ما تقدم يتضح لنا : أن القرآن الكريم فيه أدلة وشواهد كثيرة تثبت مشروعية الحوار والمناظرة العلمية والمجادلة الحسنة التى تبقى ضمن دائرة الحق ولا تهدف إلى المنازعة والخصومة فمما لا ريب فيه أن القرآن الكريم منبع الدلالات

١- صراع المذهب والعقيدة فى القران ، عبد الكريم غلاب . دار الكتاب اللبنانى بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٣ م ص ١٨ — ١٩

٢- سورة النحل آية ١٢٥

٣- سورة إبراهيم آية ٤

٤- البرهان للزركشى ص ٢٤ ، الإتقان فى علوم القران ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، دار المعرفة بيروت ج ٢ ص ١٧٢ ، معترك الأقران فى إعجاز القران للسيوطى تحقيق على محمد البجاوى دار الفكر العربى بيروت ج ١ ص ٤٥٦

ومعدن الحجج والبراهين ، وهو الذى يستمد منه العلماء وجوه المعرفة التى تنير العقل البشري وتدفع به نحو غايات الحياة المثلى ٠

لقد بلغ القران الذروة فى استجماع مزايا القول البليغ والكلمة الفصيحة فتجاوز فى شكله ومضمونه سائر المضامين والأشكال – كيف لا وهو كلام رب العالمين وقوله الفصل وحبله المتين – وما جاء فيه من مناظرات وحوارات يسمو أن يكون جدلا كلاميا أو حوارا فلسفيا أو بلاغة شاعرية ؛ لأنه منهج ربانى وإعجاز الهي لا تبلى جدته ولا تنكشف أسراره ولا يفقد ما فيه من خصائص اللفظ الفصيح والمعنى الكريم وما ذلك إلا لأن القرآن مأدبة الله الذى تتجمع الأجيال حوله فيأخذ كل جيل منه ما قدر الله له أن يأخذ وتمضى الأجيال ويبقى القرآن يحمل آفاقا واسعة فى البحث والدراسة ؛ ليكون دليلا يوجه الناس إلى العلم والمعرفة ويخاطب كل عصر بلغته ويصيغ من براهينه واستدلالاته أرقى أشكال الحوار المنطقي والمساجلة العلمية والمناظرة الفكرية

ويظهر ذلك جليا فى استخدام المنهج العقلى والعاطفي معا فى حواراته – ﷺ – مع محاوريه ، كما حصل مع الشاب الذى جاء يستأذنه بالزنا فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن أبى ماماة أن فتى من قريش آتى النبى – ﷺ – فقال : يا رسول الله ائذن لى فى الزنا ، فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا مه مه فقال أدنه فدنا منه قريبا فقال : أتحبه لأمك ؟ قال :لا والله جعلنى الله فداك قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم قال : أفتحبه لأختك ؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك قال :ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال :أتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم قال : أتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال: فوضع يده عليه وقال : " اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه " قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء ٠ رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح[1] ٠

١– مجمع الزوائد على بن أبى بكر الهيثمى ج ١ ص ١٢٩

فقد جمع رسول الله فى هذا الحوار بين المنهجين العقلي والعاطفي العقلي من خلال قياس حاله مع أحوال الناس ومحارمهم وبذلك أدخل القناعة إلى عقله فى عدم الإقدام على ذلك العمل ٠

والعاطفى من خلال الاعتماد على ما يثير حميته ونخوته والأخذ بالأسلوب المنطقى العاطفى الذى يلامس شغاف قلبه ويثير عنده كوامن الرجولة والطهارة ويعيد إليه توازنه وينفره عما جاء من أجله[1] ٠

ومن الحوارات التى تعتمد المزاوجة بين المنهجين العقلى والعاطفى ما رواه أنس بن مالك أن ناسا من الأنصار قالوا لرسول الله – ﷺ– بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار، فجمعهم فى قبة من ادم ولم يدع معهم أحداً غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله – ﷺ – فقال :ما كان حديث بلغنى عنكم!، فقال له فقهاؤهم : أما ذوو آرائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا وأما أناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله - ﷺ - يعطى قريشاً ويترك الأنصار وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله – ﷺ – إنى أعطى رجالا حديث عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعوا إلى رحالكم برسول الله – ﷺ – فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، قالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا، فقال لهم: إنكم سترون بعدى أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله تعالى ورسوله – ﷺ – على الحوض[2]،

وفى رواية أخرى قال:

((فو الذى نفسى بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ولولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار)) قال فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم، وقالوا رضينا بالله رباً ورسوله قسما، ثم انصرف وتفرقوا[3] ٠

١- علم نفس الدعوة ٠ محمد زين الهادى، نشر الدار المصرية اللبنانية ط الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٠ م ص ٢٨٨

٢- صحيح البخارى، محمد بن إسماعيل البخارى، ج٣ص١١٤٧

٣- البداية والنهاية لابن كثير، إسماعيل ابن عمر بن كثير الدمشقى، دار أبى – حيان القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦مـ ج٤ص٤١٥ ،، السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسيائى، ج٥ص٨٧٠

فقد أثار النبى - ﷺ - فى هذه المحاورة عواطفهم بعد أن أقنع عقولهم بأن ما فعله هو أمر يقتضيه الشرع ، وهو تأليف القلوب تقوية لإيمانهم بشئ يسير من متاع الدنيا ، واستطاع بذلك أن يرضى عاطفة الأنصار ويطهر قلوبهم من وساوس الشيطان ، ويدفع عنهم أذاه حتى عاد بهم إلى اليقين والإيمان الذى كانوا عليه من قبل ٠ ومن خلال ما تقدم يتضح لنا : أن فى السنة النبوية مواقف وشواهد كثيرة تثبت مشروعية الحوار والمجادلة الحسنة التى كان يستخدمها النبى - ﷺ - مع صحابته الكرام لتقرير حكم شرعى أو توضيح مسألة غابت عن أذهانهم ومع المشركين والمعاندين لعرض الإسلام عليهم أو إزالة شبهة عالقة فى تفكيرهم وهو مع الفريقين يعتمد الحوار الهادئ والأسلوب المرن البعيد عن الجفاء والتعقيد ليصل بهم إلى وجوه المعرفة الصادقة وليحقق هدف الرسالة وغايتها المتمثلة بقوله – تعالى - : " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاروهم فى الأمر " ٠

أنواع الحوار وأساليبه

اتضح لنا من خلل ما سبق أن الحوار يتناول معظم جوانب الحياة ويتطرق إلى موضوعات مختلفة : دينية وأخلاقية واجتماعية وسياسية واقتصادية وفلسفية كما تبين أن الحوارات تأخذ أشكالا ونماذج وأساليب متعددة فأحيانا تكون مشافهة وأحيانا أخرى تكون مراسلة عن طريق تأليف كتاب أو الرد عليه وقد تكون تلك الحوارات طويلة أو قصيرة حسب الموضوع الذى يتم بحثه أو المسألة التى يتم معالجتها ونقاشها ٠

ومن هنا تعددت أشكال الحوار وتباينت عناصره واختلفت أنواعه وأساليبه تبعا للموضوع المطروح على بساط البحث فهناك حوار داخلى يفترض فيه المحاور طرفا آخر من ذاته وهناك حوار خارجى يبرز فيه الطرف الآخر من خلال المشاركة فى الطرح والمعالجة والتدليل والواقع أنه عندما هممت بتقسيم الحوار وجدت تداخلا كبيرا بين أنواعه وأساليبه فهناك من يوزعه على أساس الشكل وهناك من يوزعه على أساس المضمون ومنهم من يوزعه باعتبار الأشخاص المشاركين فيه وبهذا تعددت أنواع الحوار وكثرت أشكاله حيث لا يوجد إطار محدد لتلك الأنواع ولا تتوفر صياغة منهجية وموضوعية لأساليبه وصيغه وأشكاله فاجتهدت فى وضع

تقسيم أحسب أنه يتفق مع مفهوم الحوار وأركانه ويعمل على حصر أبرز الموضوعات التى ربما تطرح فى مجال المناظرة والحوار ٠

ومن خلال هذه المعطيات يمكن تقسيم الحوار تقسيما أوليا إلى نوعين: النوع الأول: الحوار مع الذات

النوع الثانى : الحوار مع الآخر

وسوف نتناول فى هذا البحث النوع الأول وهو الحوار مع الذات من خلال الرؤية الإسلامية الخالصة لأن من لا يستطيع الحوار مع نفسه ومجتمعه فإنه لا يستطيع الحوار مع الآخر ٠

المبحث الأول

الحوار مع الذات

المقصود بالحوار مع الذات : العمل على مراجعة الإنسان لنفسه وأفكاره ، والوقوف معها وقفة تأمل وتصحيح لتحديد مواطن الخلل وإصلاحها ، وتحديد مواطن الصحة لتعزيزها ودعمها ٠

وبهذا يعد الحوار مع الذات أحد نوعى الحوار العلمى الذى يزكى فى نفس المحاور العمل على مراجعة الأفكار ، وتصحيح المواقف ، من خلال الاعتماد عل خلجات النفوس وأحاسيسها الداخلية الأمر الذى يؤدى بالنتيجة إلى رقابة الإنسان على نفسه وأفكاره من جهة ، أو من خلال محاورة الإنسان لبنى جنسه الذين يلتقون معه فى قدر كبير من المصالح المشتركة ، الأمر الذى يعمل على تفعيل النقد الذاتى البناء مما يصح أن يطلق عليه (حوار الأنا) أو (حوار الذات) ليكون هذا النوع من الحوار فاتحاً لآفاق واسعة من الحوار مع الآخر

وذلك لأنه (إن لم تستطع محاورة نفسك فإنك لا تستطيع محاورة الآخرين)[1]

ويمكن لنا أن نحدد نماذج الحوار مع الذات بالأشكال التالية :

١- المناجاة والدعاء

٢- اللوم والمعاتبة للذات (النفس اللوامة)

٣- الحوار الداخلى (الحوار الوطنى)٠

المناجاة والدعاء :

يحتاج الإنسان إلى مناجاة الله تعالى لإذكاء الشعور برحمته وعظمته وعنايته ، وإخلاص التوجه إليه بالدعاء والاستغفار ، وفى هذا يقول الله تعالى ((وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين))[2] جاء فى تفسير ابن كثير أن هذا من فضله تعالى وكرمه حيث إنه ندب

١- محاضرات فى الأدب والنقد ، د٠ أحمد محمد الطريس ، محاضرات غير مطبوعة ألقيت على طلاب السنة الرابعة فى قسم اللغة العربية – كلية التربية بصحار ، سلطنة عمان للعام الدراسى ٢٠٠١/٢٠٠٢

٢- سورة غافر آية ٦٠

عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة[1]، ويقول الله تعالى:((قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ٠ قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون))[2]وفى تفسير هذه الآية يذكر سيد قطب : أنها تجربة يعرفها كل من وقع فى ضيقة ، أو رأى المكروبين فى لحظة الضيق ، وظلمات البر والبحر كثيرة ، فالمتاهة ظلام ، والخطر ظلام ، والغيب الذى ينتظر الخلق فى البر والبحر حجاب ، وحيثما وقع الناس فى ظلمة لم يجدوا فى أنفسهم إلا الله يدعونه متضرعين أو يناجونه صامتين[3]، ويذكر سيد طنطاوى أن لفظ الآية يدل على أنه عند حصول الشدائد يأتى الإنسان بأمور :

أحدها : الدعاء ٠

وثانيها : التضرع ٠

وثالثها : الإخلاص بالقلب وهو المراد بقوله (خفية) ٠

ورابعها : التزام الالتزام بالشكر ٠

فالدعاء يمثل حواراً تعبدياً نابعاً من ذات الإنسان وذلك أن مبررات الدعاء ودوافعه ناتجة مما يلى :

١)الخوف من المجهول

٢)الشدة والكرب

٣)الطمع فى الثواب والرزق

٤)حالة الضعف الإنساني

هذه الحالات يشعر الإنسان معها بالحاجة إلى مراجعة نفسه فيعمل على أن يدخل فى حوار يمكن أن نطلق عليه حوار الذات أو الحوار مع الذات تكون الخلجات الداخلية والأحاسيس الذاتية دافعاً أساسياً لتكوين ذلك الحوار مما يدعوه إلى طلب العون والمساعدة والنجدة من قوة خارقة فوق قوة الإنسان تهرع إلى نجدته وإخراجه من المأزق الذى وقع فيه ٠

١- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٤ ص٨٦

٢- سورة الأنعام آية ٦٣- ٦٤

٣- فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الخامسة والعشرين ١٤١٧هـ١٩٩٦م ج٢ص١١٢٤

من خلال الوعد المحتم من الله للصابرين بالتأييد والتثبيت وعدا يؤنسهم ويشد من عزمهم ويمدهم بطاقات تجدد عزائمهم وتزيدهم قوة أمام الشدائد .

وفى هذا يقول السمرقندى : يستحب للإنسان أن يدعو الله تعالى كل وقت ويرجع إليه جميع حوائجه فإن ذلك علامة العبودية وأن أحب العباد إلى الله هو من يسأله وأبغض العباد إلى الله هو من استغنى عنه وأحب العباد إلى الناس من استغنى عنهم ولم يسألهم شيئاً وأبغض العباد إلى الناس من يسألهم وفى هذا قول الشاعر :

لا تسألن بنى آدم حاجـــة — وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله — وبنى آدم حين يسأل يغضب

إن كل هذه المفاهيم والمعطيات التى أشرنا إليها تثبت بوضوح أن الدعاء والمناجاة يعدان بحق من أبرز أشكال الحوار مع الذات اعتمادا على كونها صادرة من خلجات النفوس وأحاسيس الذات .

اللوم والمعاتبة للذات (النفس اللوامة) :

النفس : هى الجُوهر اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماها الحكيم الروح الحيوانية فهى جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه من ظاهر البدن وباطنه وأما وقت النوم فينقطع ضوؤه عن ظاهره فثبت أن القادر الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب إن غلب ضوء النفس على جميع أجزاء البدن وباطنه فهو اليقظة وإن انقطع ضوؤها عن ظاهره فقط فالنوم أو بالكلية فالموت .

وقد شرح الإمام أبو حامد الغزالى النفس فقال : إنه مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان أحدهما : المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الإنسان وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله – ﷺ – : " أعدى عدوك نفسك الذى بين جنبيك "[1] ، أما المعنى الثانى : فهى اللطيفة التى الإنسان بالحقيقة ، وهى نفس الإنسان وذاته ، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب أحوالها، فإن سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب

١- جامع العلوم والحكم . أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلى ، دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ص١٩٦، كتاب الزهد الكبير ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٦م ص١٥٧

بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة ، قال تعالى فى مثلها ((يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية))[1] ، وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة ، لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره فى عبادة مولاه قال الله تعالى ((ولا أقسم بالنفس اللوامة))[٢] ،وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء ، قال تعالى حكاية عن قصة يوسف ((وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء))[٣]، ويجوز أن يقال المراد بالأمارة بالسوء : هى النفس بالمعنى الأول[٤] •

ومن خلال ما تقدم وبناء على مجمل الآيات القرآنية الواردة فى النفس الإنسانية يمكن تقسيم النفس إلى ثلاثة أقسام هى :

١- النفس المطمئنة : وهى التى تنورت بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بأخلاقها الحميدة[٥] •

٢- النفس اللوامة : وهى النفس المتيقظة التقية الخائفة المتوجسة التى تحاسب نفسها ، وتتلفت حولها ، وتتبين حقيقة هواها ، وتحذر خداع ذاتها[٦] •

٣- النفس الأمارة بالسوء : وهى التى تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية و وتجذب القلب إلى الجهة السفلية ، فهى مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة[٧] •

والذى يعيننا من هذه الأقسام الثلاثة هو القسم الثانى الذى يمثل النفس اللوامة ،فقد أقسم الله تعالى بها باعتبارها التواقة للمعالى التى تندم على الشر لم فعلته ؟ وعلى الخير لم لم تستكثر منه ؟ فهى لم تزل لائمه وان اجتهدت فى الطاعة ، قال

١- سورة الفجر آية ٢٧- ٢٨

٢- سورة القيامة آية ٢

٣- سورة يوسف آية ٥٣

٤- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالى ، ج٣ ص٥

٥- التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المساوى ،ج١ ص٧٠٦

٦- وفى ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الخامسة والعشرين ١٤١٧هـ١٩٩٦م ج ٦ ص ٣٧٦٨

٧- التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوى ج١ ص ٧٠٦

الفراء : ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهى تلوم نفسها إن كانت على خير قالت هلا ازددت، وإن كانت على سوء قالت ليتنى لم أفعل ، وعلى هذا فهو مدح النفس والقسم بها سائغ حسن[1]٠

وقد روى عن الحسن البصرى رحمه الله أنه قال : إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه ، ما أردت بكلمتى ؟ ما أردت بأكلتى ؟ ما أردت بحديث نفسى ؟ وإن الفاجر يمضى قدما ما يعاتب نفسه[2] ٠

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن النفس اللوامة تعد صيغة متقدمة من صيغ نقد الذات ، حيث يدخل الإنسان فى حوار كبير ومتعدد الجوانب مع نفسه عندما يريد الإقدام على عمل معين فى جانب الخير أو جانب الشر ، ويؤكد هذا المعنى عدد من الأحاديث الواردة عن النبى - ﷺ - منها ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - :((إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما بلم يتكلموا أو يعملوا به))[3] ومنها كما روى النواس بن سمعان الأنصاري قال :سألت رسول الله - ﷺ - عن البر والإثم فقال ((البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس))[4] ومنها ما رواه النبى- ﷺ - عن ربه فى الحديث القدسى ((يقول الله - عز وجل - يا ابن آدم إن حدثت نفسك بحسنة فلم تعملها كتبتها لك حسنة وإن عملتها لك عشرا وإن هممت بسيئة فحجزك عنها هيبتى كتبتها لك حسنة وإن عملتها كتبتها سيئة واحدة))[5] ومنها ما روى عن وابصة بن معبد قال أتيت رسول الله صلى- ﷺ- وأنا أريد أن لا أدع شيئا من البر والإثم إلا سألته عنه وإذا عنده جمع فذهبت أتخطى الناس فقالوا إليك يا وابصة عن رسول الله- ﷺ- إليك يا وابصة ، فقلت أنا وابصة دعونى أدنو منه فإنه من أحب الناس إلى فقال لى أدن يا وابصة ادن يا وابصة فدنوت منه حتى مست ركبتى ركبته فقال يا وابصة أخبرك ما جئت تسألنى عنه أو تسألنى فقلت يا رسول الله :

١- تفسير المراغى ، أحمد مصطفى المراغى ، تحقيق باسل عيون السود ، منشورات محمد على بيضون / دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨ م ج ١٠ ص ٢٦٢ – ٢٦٣

٢- فى ظلال القرآن ، سيد قطب ج٦ ص٣٧٦٨ ٠

٣- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيرى ، ج١ ص ١١٦

٤- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيرى ، ج٤ ص١٩٨٠

٥- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم ج ٤ ص ٢٧٥

فأخبرنى، قال :جئت تسألنى عن البر ، والإثم ،قلت : نعم ، فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها فى صدرى ويقول : يا وابصة استفت نفسك البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى القلب وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس قال سفيان وأفتوك))[1] ٠

فهذه النصوص من أحاديث النبى - ﷺ - تشير إلى أن النفس تحدث ذاتها دون أن تتكلم أو يجرى على لسانها حديث : (يا ابن آدم إن حدثت نفسك بحسنة فلم تعملها كتبتها لك حسنة) ، كما أنها تدخل فى صراع فكرى ومبدئى عندما تريد الإقدام على فعل معين فيراودها التردد وعدم الرضا عن بعض التصرفات (البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى القلب وتردد فى الصدر) وهذا يعنى أن النفس الإنسانية تحاور ذاتها وتدخل معها فى صراع فكرى قبل أن تقدم أو تحجم عن عمل ما ٠

إن جميع المعطيات التى أشرنا إليها تثبت بوضوح أن خلجات النفس اللوامة وأحاسيسها واحدة من أشكال الحوار الداخلى الذى يعمل على تصحيح المواقف والاستزادة من الخير ، وهى بالتالى صيغة من صيغ الحوار مع الذات ٠

<u>الحوار الداخلى (الحوار الوطنى) :</u>

يعد هذا الشكل من الحوار الداخلى أبرز أشكال الحوار مع الذات ، ذلك أن التعايش الثقافى والتساكن الحضارى هما اللذان يمهدان للحوار الذى هو من ضرورات الحياة ، فالحوار بين أهل البيت الواحد الذين يتفقون فى المنهج ويلتقون فى المصير المشترك هو الوسيلة المثلى لتحقيق التوازن فى الحياة الإنسانية ٠

ويكتسب الحوار فى تراثنا الثقافى مكنة تدل على مجموعة من القيم والمبادئ التى هى جزء أساسى من الحضارة والثقافة الإسلامية ، ويؤكد هذا المعنى ما ورد فى القرآن الكريم من آيات استخدمت لفظ الحوار فى أكثر من مناسبة كما فى قوله تعالى ((وكان له ثمر فقال لصاحبة وهو يحاوره))[2] ((قال له صاحبه وهو يحاوره))[3] ((قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع

١- مسند أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى ، مؤسسة قرطبة مصر ، بدون تاريخ ج٤ص٢٢٨

٢- سورة الكهف آية ٣٤

٣- سورة الكهف آية ٣٧

تحاوركما))[1] مما يثبت أن الحوار أصل من الأصول الثابتة للحضارة العربية الإسلامية ينبع من رسالة الإسلام وهدية ، ومن طبيعة ثقافته وجوهر حضارته لقد اقترن الحوار فى مجمل النصوص الشرعية بالعقل والتشريع مما يمنحه معنى ساميا فى سياق تحديد مدلولة ، ذلك أن الحوار العاقل هو الذى يقوم على أساس راسخ ويهدف إلى غاية نبيلة هى القبول بمبدأ المراجعة الذى يتجاوز الرجوع عن الخطأ إلى مراجعة الموقف برمته إذا اقتضت لوازم الحقيقة هذه المراجعة وصولا إلى جلاء الحق وتوضيح الحقيقة ٠

فالحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية المستندة إلى مبادئ الدين الحنيف وتعاليمه السمحاء باعتباره تعبيراً عن أبرز سمات الشخصية الإسلامية السوية وهى سمة التسامح والمرونة فى التفكير ، فالحوار لا يكون إلا بالتى هى أحسن أى أحسن الوسائل وأقوم الأساليب وأقوم الطرق ٠

وبهذا المعنى فإن الحوار قوة وسلاح من أسلحة السجال الثقافى ، وهو وسيلة ناجحة من وسائل الدفاع عن كيان الأمة وعقيدتها ومنهجها لغرض تبلغ رسالتها وإظهار حقيقتها وإسماع صوتها وكسب الأنصار لها وفق الصيغة والمنهج الذى يأمر به القرآن ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن))[2] ٠

وتأسيسا على ما تقدم ، فإن الحوار الذى يدعو إليه الإسلام لابد أن يستند إلى الأسس والمنطلقات التالية[3]:

١- الاحترام المتبادل ٠

٢- الإنصاف والعدل ٠

٣- نبذ التعصب والكراهية ٠

ومن هنا فإن الاحترام المتبادل بين الأطراف المتحاورة هو المنطلق الأول الذى يجب أن يرتكز عليه الحوار وفقاً للتوجيهات القرآنية ((ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله

١- سورة المجادلة آية ١

٢- سورة النحل آية ١٢

٣- الحوار من أجل التعايش د ٠ عبد العزيز بن عثمان التويجرى ، دار الشروق القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٩ه ١٩٩٨ م ص ١٧- ١٨

فيسبوا الله عدوا بغير علم))[1]، وبذلك نضمن أن لا يكون الحوار ساحة للحجاج العقيم والتطاول على أقدر الناس والمس بمكانتهم وتبادل الإساءة فيما بينهم حتى لا يفقد الحوار صيغته الحضارية وإذا كان الإحترام المتبادل هو المنطلق الأول للحوار فإن الإنصاف والعدل هو المنطلق الثانى ، ولنا فى التوجيه القرآنى قاعدة ثابتة وهداية دائمة ، يقول الله تعالى ((ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى))[2] فالعدل هو أساس الحوار الهادف الذى ينفع الناس ويمكث أثره فى الأرض ويستدعى الاعتراف بالفضل لذويه ويعمل على إقرار الحق حتى ولو يكن فى صالح جميع الأطراف ٠

ومن خلال اجتماع الاحترام المتبادل والإنصاف والعدل تتوفر قاعدة ثالثة من قواعد الحوار التى تقوم عليها منطلقات الحوار وهى نبذ التعصب والكراهية ، وإننا لنجد أصل هذه القاعدة فى قوله تعالى: ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا غليهم إن الله يحب المقسطين))[3] ولا شك أن هذا التوجيه القرآنى يرقى من مستوى نبذ التعصب والكراهية إلى مقام أرفع وهو البر بالناس الذى يعنى الإحسان بكل دلالاته الأخلاقية ومعاملتهم بالقسط الذى يعنى العدل فى الطرح والتوجيه ((وقولوا للناس حسناً))[4]، فالحسن هنا ليس معناه مجرد التلطف بالقول والمجاملة بالخطاب وإنما هو الحسن النافع فى الدين والدنيا[5]

وما دمنا نتكلم عن نوع محدد من الحوار وهو الحوار بين أبناء الأمة الواحدة باعتباره حوارا داخليا وصيغة من صيغ الحوار مع الذات ، فإن ذلك يتطلب أن يشمل الحوار كل ما فيه مصلحة الأمة ومنفعة المجتمع الإسلامى ، فلا يقتصر الحوار على موضوع دون آخر ولا يعالج مسألة دون أخرى ، بل يجب أن يتسع ليتناول جميع الموضوعات ذات الصلة بحياة المجتمع حاضراً ومستقبلا ، ويغطى كافة

١- سورة الأنعام آية ١٠٨

٢- سورة المائدة٨

٣- سورة الممتحنة آية ٨

٤- سورة البقرة آية ٨٣

٥- الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، تحقيق وتقديم د٠ محمد عماره ، دار الشروق القاهرة ١٩٩٣ مجلد ٤ص٢١٦

القضايا التى ترتبط بجميع نواحى الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والتربوية ٠

إن مما لاشك فيه أن المجتمعات الإسلامية اليوم بأمس الحاجة إلى أن ينفتح فيها الحوار بشكل يتفق مع معطيات العصر وآفاقه الواسعة ، ولن يتحقق ذلك إلا بما يلى[1] :

١- تحصين الذات من خلال إصلاح أحوال الفرد والمجتمع ٠

٢- استخدام لغة العصر وأسلوبه ليكون الحوار مدخلا إلى تحقيق التعامل مع المستجدات بقدرات أكبر وإمكانات أوفر وفرص أكثر ٠

وبذلك تسود روح الحوار أرجاء العالم العربى الإسلامى ويتعمق من خلاله ما يمكن لأن نطلق عليه (الحوار الوطنى) داخل المجتمعات العربية والإسلامية ٠

إن الأمة اليوم مطالبة بفتح باب الحوار الوطنى فيما بينها لتحقيق الوحدة الوطنية من جهة ، ولتعزيز المواقف الإيجابية ودعمها ، وتصحيح المواقف السلبية ومعالجة الأخطاء من جهة أخرى ، ومن هنا ينبغى أن يهدف الحوار الوطنى إلى رصد العوامل التى تؤدى إلى تفاقم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية واحتوائها ومعالجتها بروح مخلصة وعقلية بناءة هادفة ، كما أنه ينبغى أن يهدف هذا الحوار إلى تدعيم سبل الاستقرار والتنمية ، لتكون تلك الحوارات بمثابة نقطة تحول وانطلاق آفاق جديدة فى واقعنا الاجتماعى والسياسى وفى ميادين الحياة كافة ٠

إن هذا النوع من الحوار الذى يمكن أن نطلق عليه (الحوار الداخلى) هو خطوة أولى نحو الحوار مع الخارج لأنه يقوى النسيج الوطنى بين أفراد الأمة ، ويكسب المجتمع مناعة للتعامل مع العامل المحيط بنا ، ذلك أننا لا يمكن أن نفلح فى الحوار مع العالم ما لم نفلح فى الحوار مع أنفسنا ٠

وبناء على ما تقدم ، فإنه ينبغى أن يشمل الحوار الداخلى كل موضوع يهم الفرد والمجتمع سواء كان ثقافياً أو فكريا أو سياسياً ، لأن نجاح الحوار وفاعليته تكمن فى شموليته واستيعابه لحاجة العامة ، كما أنه يجب أن يرتكز هذا الحوار على الأسس النظرية التى أشرنا إليها أثناء الحديث عن مقومات الحوار وقواعده وشروطه وآدابه، ذلك أن الحوار على هذا النحو الراقى يعد ضرورة من الضرورات التى تقتضيها

١- الحوار من أجل التعايش ، د٠ محمد بن عثمان التويجرى ، ص١٨

عملية انتظام الحياة وتفرضها طبيعة التواصل البشرى ، فالحوار حركة مطردة وقوة دافعة وطاقة للإبداع يجب أن تعتمد على أسس متينة لضمان استمرارها وديمومتها ، وقد كان للإسلام فى جميع هذه الأمور رؤية واضحة وموقف مبدئى من خلال التعاليم التى تحث على التعاون من أجل كل ما فيه الخير والحق لتحقيق السعادة لجميع بنى البشر ٠

إن المتتبع لوضع العالم الإسلامى اليوم وما يمر به من أحداث عصيبة ومتنوعة يجد أن أمام أبنائه مهام كبيرة لبناء الذات وتصحيح المواقف وازدهار الحياة ، ولذلك فهو مدعو الآن أكثر من أى وقت آخر إلى أن يتعامل مع تلك الأحداث بعقلية مرنة وتفكير ناضج يستطيع من خلالها الانفتاح على آفاق العصر ومعطياته المتجددة ، والدخول فى حوارات جدية وهادفة مع جهات عديدة وعلى مستويات متنوعة ليثبت جدارته وأهليته للمساهمة فى صياغة حضارة إنسانية تسود فيها قيم الخير والحق والفضيلة ويبرز فيها مبدأ التعاون والتسامح ٠

<u>ويمكن لنا أن نحدد الموضوعات التى يجب أن يشملها الحوار الداخلى (الحوار مع الذات) بالمحاور التالية :</u>

١- الحوار بين الفرق والمذاهب الإسلامية ٠

٢- الحوار بين العروبة والإسلام ٠

٣- حوار الشعوب مع القادة والحكام ٠

<u>الحوار فيما بين الفرق والمذاهب الإسلامية :</u>

تلقت الأمة الإسلامية القرآن الكريم مكتوبا محفوظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتشرت رواية الحديث من قبل الصحافة والتابعين فى مختلف الأمصار، ورحل العلماء يجوبون الأقطار ويدونون السنة ، وكان من نتيجة ذلك أن تكونت المدارس الفقهية وتحددت أصول ومناهج تلك المذاهب واختلف العلماء فيما بينهم حول بعض الأصول الشرعية وتقديم بعضها على بعض وقد أدى الاختلاف فى بعض الأصول إلى الاختلاف فى الفروع الفقهية ، وكثر الجدل بين علماء هذه المذاهب وعقدت المناظرات والمساجلات ، وشجع على هذا كله اهتمام الخلفاء بالعلوم وخاصة علم الفقه ومشاركتهم فى هذه العلوم ورعايتهم لتلك المناظرات والمداولات ٠

وقد ساعد اشتغال بعض العلماء بالفقه الافتراضي فى توسيع دائرة الخلاف ، ولكن الخلاف كان محكوما بالدليل والبرهان ، فقد كان العلماء فى تلك الفترة يرفضون التقليد ، وينظرون فى الدليل ، وينهون عن التعصب ويأخذون الحق ممن جاء به وإذا كان الصحابة والتابعون ومن بعدهم من العلماء المجتهدين قد اختلفوا فى العديد من المسائل الفقهية ، فإن اختلافهم كان ضرورة علمية وأمرا طبيعيا اقتضاه الفهم والإدراك للنصوص والأدلة الشرعية ، وليس اختلاف تقليد وتعصب ، وأما المقلدون من أتباع المذاهب فإن الواحد مهم يظهر له الدليل فلا يدع مذهبه ٠ ولم يؤد اختلاف الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين إلى التباغض والتفرق فكان بعضهم يدعو لبعض ويصلى بعضهم وراء بعض ، أما هؤلاء المقلدون فقد تعادوا وتباغضوا وتركوا الصلاة خلف من يخالفهم فى المذهب ، وطعن أتباع المذاهب بعضهم فى بعض ، يقول الشيخ محمد رشيد رضا (المتعصبون للمذاهب أبوا أن يكون الخلاف رحمة ، وتشدد كل منهم فى تحتيم تقليد مذهبه ، وحرم على المنتمين إليه أن يقلدوا غيره ولو لحاجة فيها مصلحتهم ، وكان من طعن بعضهم فى بعض ما هو معروف فى كتب التاريخ وغيرها حتى صار بعض المسلمين إذا وجد فى بلد يتعصب أهله لمذهب غير مذهبه ينظرون إليه نظرتهم إلى البعير الأجرب بينهم)[1] ويذكر الشوكانى أن بعض الذين ادعوا العلم من الزيدية كفر رجلا صالحا بسبب رفع الأخير يديه فى الدعاء مخالفا لطريقة الزيدية ، ويذكر أن لقب سنى فى اليمن فى عهده كان لقب ذم لأنه استقر فى أذهانهم أنه لا يطلق إلا على من يوالى معاوية ويعادى عليا رضى الله عنهما[2]٠

وقد وصل الخلاف والخصام بين مقلدى وأتباع المذاهب إلى درجة خطيرة ، فقد عادى بعضهم بعضا وصار يسعى بالكيد والأذى للبعض الآخر ، وقد تسبب ذلك فى حدوث الفتن الكثيرة ويروى التاريخ لنا حوادث متعددة من هذا القبيل ، فمن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير أن عزيز مصر وهو الملك الأفضل ابن صلاح الدين

١- ما لا يجوز فيه ، عبد الجليل عيسى ، دار البيان الكويت ١٣٨٩هـ١٩٦٩م ص ١٣٤

٢- تاريخ الفقه الإسلامى ، د ٠ عمر سليمان الأشقر دار النفائس عمان الأردن ، مكتبة الفلاح الكويت الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ ١٩٩١م ص ١٧٥ - ١٧٦

كان قد عزم فى السنة التى توفى فيها وهى سنة ٥٩٥هـ على إخراج الحنابلة من بلده وأن يكتب إلى بقية إخوته بإخراجهم من البلاد[1].

ومنها ما ذكره أيضا من وقوع فتنة كبيرة ببلاد خراسان بسبب وفود فخر الدين الرازى إلى ملك غزنة الذى أكرمه وبنى له مدرسة فى هراة ، ولكن أهل البلاد الذين كانوا على غير مذهبه أبغضوه وناظروه وانتهت المناظرة بالسب والشتم حتى أثروا الناس عليه فأمر الملك بإخراج الرازى من بلاده[2].

ومنها ما روى عن خلاف الشديد بين الحنفية والشافعية حتى كان يؤول الأمر فى بعض الأحيان إلى خراب البلاد فقد ذكر ياقوت الحموى عند الكلام على مدينة أصفهان بعد أن ذكر مجدها القديم (وقد فشا فيها الخراب فى نواحيها لكثرة الفتن والتعصب بين الشافعية والحنفية والحروب المتصلة بين الحزبين ، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى وأحرقتها وخربتها ولا يأخذهم فى ذلك إلا ولا ذمة وكذلك الأمر فى رساتيقها وقراها)[3].

وأما الصراع بين الشيعة والسنة فأشهر من أن يذكر وقد امتلأت كتب التاريخ بوصفه ، فمن ذلك ما رواه ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٤٣ هـ قال :(فى هذه السنة تجددت الفتنة بين السنة والشيعة وعظمت أضعاف ما كانت قديما) ثم روى كيف تطور الخلاف إلى القتال والنهب بسبب مقتل رجل هاشمى من أهل السنة ، إذ حمله أهله واستنفروا الناس للأخذ بثأره ثم قصدوا المشهد ونهبوا ما فيه وأضرموا حريقا أتى على كثير من قبور الأئمة فقصد الشيعة إلى خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه وقتلوا مدرس الحنفية أبا سعد السرخسى وأحرقوا الخان ودور الفقهاء[4].

لقد أدى التعصب المذهبى المقيت إلى زرع الخلاف والشقاق بين أبناء الأمة وتفتيت وحدتها وتقسيمها إلى أمم متخاصمة تتقاتل وتتنازع ، فاستغل العدو المتربص بها هذا الانقسام والفوضى ، فبسط سيطرته عليها وأمعن فى إذلالها وقهرها ، وكان السبب المباشر فى كل هذا انعدام المنهجية الصحيحة للحوار بين أبناء الأمة

١- البداية والنهاية لابن كثير ، مكتبة المعارف مصر ١٩٦٦م ج ١٣ ص ١٨

٢- البداية والنهاية لابن كثير ج١٣ ص١٩- ٢١

٣- معجم البلدان لياقوت الحموى نشر مطبعة الخانجى وشركاه ، الطبعة الأولى ج١ ص٢٧٣

٤- مختصر كتاب المؤمل لأبى شامة ، مجموعة الرسائل المنبرية ، إدارة الطباعة المنبرية / بدون تاريخ ج٣ص٣٢ .

الواحدة ، ذلك أن الحوار بين الفرق والمذاهب الإسلامية لا يكاد يبدأ جدالا بالتى هى أحسن ، حتى تتسلل إليه الحدة والشدة وتستولي عليه روح الضيق بالمخالفين والمسارعة إلى اتهامهم فى أفكارهم ونياتهم وأخذهم بالشبهة وسوء الظن ، فقد تصور الكثير من العاملين فى حقل البحوث الفقهية من أبناء الأمة أن الحقيقة لا يمكن أن تتعدد وجوهها اعتمادا على التفسير الحرفى للنصوص وعزلها عن سياقها المقصود وعدم ربط الأحكام بعللها وغاياتها ٠

إن التأمل الهادئ والتأنى فى التعامل مع النصوص الشرعية والجمع بينها وبين نصوص أخرى عديدة يثبت بما لا يقبل الشك الدعوة إلى النظر العقلى والاجتهاد فى البحث عن الحق والصواب ، مما يؤدى إلى موقف مختلف تماما عن التنازع٠

ومما يؤكد هذا المعنى ويوضحه إقرار النبى - ﷺ- لسيدنا معاذ عندما ولاه قضاء اليمن وسأله عما يفعل إذا عرض له قضاء ، وافترض عليه أمورا ربما لا يجد لها حلا فى كتاب الله وسنة رسوله ، فقد أقره النبى على اجتهاده وأعلن أن ذلك مسلكا يرضى عنه الله ورسوله، فقد روى أن رسول الله - ﷺ- بعث معاذا إلى اليمن فقال كيف تقضى ، فقال أقضى بما فى كتاب الله قال فإن لم يكن فى كتاب الله فبسنة رسول الله - ﷺ - ، قال فإن لم يكن فى سنة رسول الله - ﷺ - قال أجتهد رأيى ، قال الحمد لله الذى وفق رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

ويؤيد ذلك ما تواتر من اجتهاد النبى - ﷺ - واجتهادات الصحابة فى تفسير النصوص عند ورودها والبحث عن الحكم عندما لا يسعفهم النص ، عن بن عمر قال النبى - ﷺ - لنا لما رجع من الأحزاب لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة فأدرك بعضهم العصر فى الطريق فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها وقال بعضهم بلى لم يرد منا ذلك فذكر للنبى- ﷺ- فلم يعنف واحد منهم[2] وفى هذا دليل واضح على أن النبى - ﷺ- أقر اجتهاد صحابته الكرام ولم يعنف أحدا منهم

١- سنن الترمذى ، محمد بن عيسى الترمذى ، ج٣ص٦١٦ ،، مصنف ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبى شيبة الكوفى تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ج ٤ص٥٤٣

٢- صحيح البخارى ، محمد بن إسماعيل البخارى ، ج١ص٣٢١،، صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيرى ، ج٣ص ١٣٩١،، صحيح ابن حيان ، محمد بن حيان التميمى ، ج٤ص٣٢١

على فهمه وإدراكه ، ليكون التشريع ملبيا لمستجدات الأحداث غير المحدودة وغير المتناهية ٠

٢- إن الإسلام نظام حياة تدور أحكامه مع العلل ، وترتبط تشريعاته بالمقاصد المنضبطة التى تدركها العقول السليمة ولا تنفصل عنها ، ولو انفصلت لذهبت الرحمة وسقط العدل واستحال التكليف (فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله فى أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله - ﷺ - أتم دلالة وأصدقها)[١] والقول بغير هذا يتعارض مع توجيه الشريعة فى ربط الأحكام بمصالح الناس وتيسير القرآن للذكر ليعلموا به ، ومن هنا فإن الإسلام الذى يجب أن نقدمه للناس هو إسلام التفكير الناضج والاجتهاد المرن الذى يبحث عن العلل والمقاصد ولا يقف عند حرفية النصوص إلا حيث يتطلب الأمر ذلك فى العبادات التى لا يمكن للعقل البشرى أن يغور فى عللها وأحكامها[٢] ٠ ومن هنا يمكن للعقل البشرى أن يتعامل مع الأحكام الشرعية المرتبطة بالعلل والمقاصد بحيث يكون الحوار العلمى وسيلة لفهم النصوص الشرعية وتفسيرها والوصول إلى مراد الله تعالى منها ٠

٣- إن الإسلام لا يضع أتباعه فى صراع مع الحياة ، لأن المسلم الحق هو الذى لا يكره الناس والدنيا ، ولا يقضى عمره فى معركة وهمية مع طبيعتها ونواميسها فهو يعتقد أن الحياة صنع الله تعالى الذى أحسن كل شئ خلقه ثم هدى ، وقد خلق الله له ما فيها جميعا ثم دعاه إلى تعميرها على حد قوله تعالى ((وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة))[٣] وقوله تعالى ((هو أنشأكم من الأرض

١- إعلام الموقعين عن رب العالمين لا بن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الدمشقى ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل بيروت ١٩٧٣ مج٣ ص٣

٢- انظر فى ذلك على سبيل التفصيل : الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية د٠يوسف القرضاوى ، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت الطبعة الثانية ١٤١٠هـ١٩٨٩م ص١١٤ - ١٧٢

٣- سورة البقرة آية ٣٠

واستعمركم فيها))[1] ولا يجوز أن يعيش المسلم فيها منغصا معقدا محزونا تملؤه الشكوك والريب والظن السيئ بالنفس وبالناس وبالحياة من حوله ، وإنما عليه أن يتمثل بقول النبى صلى الله عليه وسلم ((من كان هينا لينا سهلا قريبا حرمه الله على النار))[2]

إن موقف المسلم من الحياة اليوم قضية هامة ، فلا يصح أن يعزل المسلم نفسه عن مشكلات الحياة المعاصرة ، ولا يقف موقفا انعزاليا يتسم بالهروب من الواقع والفرار من المشكلات المستجدة ، بل يجب عليه أن يتفاعل معها ويعيش ظروفها بروح مرنة وعقلية ناضجة معتمدة على نور المعرفة واشراقات السماحة ، كما يجب عليه أن يدخل فى حوار علمى مع الطروحات التى يواجهها فى جميع مجالات حياته.

إن الملاحظ على أتباع المذاهب والفرق الإسلامية فى هذه الأيام أنهم يتعاملون بسلبية بعضهم مع البعض الآخر ، وهذا لاشك موقف إنهزامى لا يحل مكلة ولا يوصل إلى نتيجة ولا يحقق هدفا ، ولذلك فإننا نوجه دعوة مخلصة إلى كل مسلم أيا كان مذهبه وإلى أى مدرسة فقهية ينتمى أن يوطن نفسه للحوار والمناقشة مع الأطراف الأخرى لنبدأ سوية رحلة (الحوار مع الذات) فالاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية ، ومن لا يستطيع محاورة نفسه لا يستطيع أن يحاور الآخرين ، ولتكن قاعدة الحوار فيما بينهم (مذهبنا راجح يحتمل الخطأ ومذهب غيرنا مرجوح يحتمل الصواب) وليحيا الجميع فى ظل القاعدة الذهبية للاجتهاد الإسلامى التى روى مضمومها عن رسول الله ﷺ بقوله : ((إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب كان له أجران وإذا اجتهد فأخطأ كان له أجر هذا لفظ النيسابورى وقال بن صاعد إذا قضى القاضى فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا قضى فأخطأ فله أجر))[3]

١- سورة هود آية ٦١

٢- شعب الإيمان البيهقى ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، تحقيق محمد السعيد بسيونى زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠ه ج٦ص٢٧١، الترغيب والترهيب للمنذرى ، عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ،

٣- سنن الدار قطنى ، أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى ، تحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى ، دار المعرفة بيروت ١٣٨٦ه ١٩٦٦م ج٤ص٢٠٤، الاعتقاد ، أحمد بن الحسين البيهقى ، تحقيق أحمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة بيروت الأولى ١٤٠١ه ص٢٣٤

سلبيات الحوار الدينى :

قلنا فيما مضى : إن السبب المباشر فى التنازع والشقاق بين المذاهب والفرق الإسلامية راجع بالدرجة الأساس إلى عدم اعتماد الحوار الحق فيما بينهم ، وربما يكون السبب كامنا فى عدم قدرتهم على إدارة الحوار بعقلية مرنة وروح صادقة تهدف الوصول إلى الحقيقة ، وإذا كان النزاع والخلاف بين أتباع المذاهب فى فترة زمنية معينة راجعا إلى التعصب المذهبى ، فإن هذا التعصب المقيت لا يزال يلقى بظلاله على مسيرة المذاهب والفرق الإسلامية ، مما يشكل عائقا كبيرا من معوقات الحوار بين أتباع تلك المذاهب ٠

إضافة إلى ذلك التعصب ، فإن هناك جملة من السلبيات التى تقف بوجه الحوار الدينى بين أتباع المذاهب والفرق الإسلامية المعاصرة ، لعل من أبرزها[1] :

١- المنهج الحر فى تفسير النصوص الشرعية :

ويعتمد هذا المنهج على انتقاء آيات وأحاديث معينة والتمسك بحرفية النصوص من غير التفات للمقاصد العامة للتشريع ، ومن دون اعتبار لأسباب النزول ولا معرفة بأصول الاستدلال اللغوى والفقهى ٠

٢- أخذ المعرفة الدينية عن طريق السماع :

فقد عمد بعض أتباع المذاهب والفرق الإسلامية إلى أخذ المعلومة الشرعية عن طريق الخطباء والوعاظ ، والاستخفاف بآراء الأئمة المجتهدين بغير علم ولا هدى ، وادعى بعضهم أنهم يأخذون الحكم الشرعى من القرآن أو من السنة مباشرة ، ولا حاجة لهم للاستئناس بآراء علماء الأمة وتوجيهاتهم على امتداد تاريخ الإسلام ، وكان من نتيجة ذلك أن تورط عدد منهم فى إصدار فتاوى تخالف صريح المعقول والمنقول وتخالف الشريعة مخالفة لا تحتمل التأويل ٠

٣- العزلة عن المجتمع :

فقد نادت بعض الجماعات الإسلامية بفكرة العزلة عن الحياة العامة ، وتكوين مجتمع خاص بهم تطبق فيه مبادئ الإسلام وأحكامه مبررين ذلك بأن الجماعة الإسلامية تعيش هذه الأيام " مرحلة العهد المكى " حيث كان المسلمون مستضعفين لم تقو شوكتهم بعد ، ولا شك أن هذه الدعوة إلى العزلة وعدم مشاركة الأمة فى

١- حوار لا مواجهة ، أحمد كمال أبو المجد ، ص٥٥- ٥٩٠

حياتها العامة هى من أخطر السلبيات التى تواجه الحوار الدينى فيما بين أتباع المذاهب والفرق الإسلامية بعضهم من البعض الآخر، وفيما بينهم من جهة وبين أصحاب الأفكار التحريرية من جهة أخرى ٠

ويكمن العلاج الدقيق لهذه السلبيات بالعمل على تصيح الأفكار وتقويم العوج المستشرى فى فهم الإسلام من خلال طرح المجاملات جنبا وتهيئة النفوس لقبول الحق وطرح رداء التعصب المذهبى وإزالة الغبار عن روح التشريع الإسلامى ومقاصده العامة ٠

إن الحوار الدينى مطالب اليوم بترتيب الأولويات الشرعية فى إطار عمل إسلامى يسعى لتحقيق المصلحة العامة ، بغض النظر عن المذهب أو الجماعة التى ينتمى إليها ، ليكون الهدف الأساسى من ذلك رصد مشاكل الأمة ودراستها بعقلية مرنة وتقديم الحلول المناسبة لها ، ويمكن لنا أن نحدد أبرز الأولويات التى يطالب بها الحوار الدينى بما يلى[1]:

١- المشاركة فى تحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى :

إن الجماعات الإسلامية على اختلاف مذاهبها وفرقها مطالبة أن تشارك مع القوى السياسية والاجتماعية الأخرى فى دفع أخطار التبعية السياسية والاقتصادية للعرب والمسلمين .، ولا بد من وضع هذا الأمر فى المرتبة الأولى من سلم الأولويات لأن الأمة التى لا تملك استقلالها السياسى وإرادتها الاقتصادية لا يمكن لها أن تمارس واجباتها الدينية على الوجه الأكمل ، ولا يمكن لها أن تساهم فى إصلاح أوضاعها الداخلية ما دامت تخضع لقوى خارجية فى رسم سياستها وتحديد طبيعة علاقتها مع الآخرين

٢- تشخيص أزمة الإنسان المعاصر :

فالفكر الإسلامى يمتاز عن الأفكار الأخرى بما يحمله من وسائل فعالة فى معالجة الآثار السيئة للثورة العلمية والتقنية المعاصرة ، ويجب على الجماعات الإسلامية أن تلفت أنظار الناس إلى هذه الميزة بدل أن تشغل نفسها فى الوقوع بالخلافات والنزاعات المقيتة التى تجر الويل عليها وعلى علاقات الحوار بينها ، ومن هنا يجب على المذاهب الإسلامية تحديد الوعى لحقيقة " العالمية " كما يفهمها الإسلام

١- حوار لا مواجهة ، د٠ أحمد كمال أبو المجد ص١٦٦ – ١٦٨

بحيث لا يكون الولاء والإنتماء الوطنى والإقليمى والقومى عائقا من عوائق تطبيق الحكم الشرعى بصيغته العالمية خاصة بعد أن تحول العالم اليوم إلى " قرية صغيرة " نتيجة للثوارت العلمية والتقنية فى ميدان تبادل المعلومات وتطور وسائل الإتصال.

إن إطلاق قوى العمل ونشاطها الهائل قد كرس مفهوم الحضارة المادية النفعية بدلا من مفهوم الحضارة الإنسانية ، فأصبح الإنسان المعاصر يجتهد فى حيازة ألوان وأشكال المكاسب المادية ، فى مقابل فتور وتراجع حرارة العلاقة مع الآخرين المبنية على الجوانب الإنسانية ، ومن هنا فإن الأمة الإسلامية مطالبة بأن يكون لها إسهام حقيقى مبدع وفعال فى علاج هذا الآثار الإيجابية المدمرة من خلال فهم مبادئ الإسلام وتجديد عرضه بأسلوب العصر ، وتجاوز عدد من التفسيرات التى فرضتها ظروف سابقة للأمة ، ولم تعد اليوم صالحة لمعالجة ما يحملة هذا العصر من تحديات هائلة تتعرض مسيرة الأمة وكيانها الثقافى والقيمى والأخلاقى .

وبناء على هذه المعطيات يجب أن يكون الحوار بين المذاهب والفرق الإسلامية موجها نحو المشاكل الكبرى التى تواجه الأمة ، بعيدا عن المنازعات الفقهية التفصيلية التى ينبغى أن تكون ضمن إطارها الفنى التخصصى المعتمد على القاعدة الفقهية التى تقول ((مذهبنا راجح يحتمل الخطأ ومذهب غيرنا مرجوح يحتمل الصواب)) والمتمثل فى صيغة وجهات النظر العلمية المتعددة بناء على أن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية ، واستنادا إلى قول النبى - ﷺ - " إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب كان له أجران وإذا اجتهد فأخطأ كان له أجر" . هذا لفظ النيسابورى ، وقال بن صاعد : "إذا قضى القاضى فاجتهد فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر"[1] وبذلك نضمن حوارا هادفا يسعى لوحدة الأمة بحيث يكون لكن مذهب خصوصيته ولكل فرقة استقلالها بما لا يتعارض مع المظهر الحضارى للأمة ومصالحها العامة .

١- سنن الدارقطنى ، أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى ، ج٤ص٢٠٤، الاعتقاد ، أحمد بن الحسين البيهقى ، ص٢٣٤

العروبة والإسلام :

دار حول العروبة والإسلام حوار قديم في تاريخ الفكر العربي الإسلامي بين الفرق من جبهات الصراع الداخلي في مجتمعاتنا وبلداتنا العربية والإسلامية وإذا أردنا أن نقف على ملامح هذا النوع من الحوار فإن ذلك يتطلب تحديد مفهوم عدد من الألفاظ والمصطلحات لأن التجربة أثبتت أن التساهل في استعمال المصطلحات يفتح الأبواب لمعارك وهمية وصراعات بين فرقاء غير مختلفين ، ولأنه لا يمكن الوقوف على شكل العلاقة وطبيعة الحوار لأى جانب من جوانب المعرفة إلا بعد تحديد المفاهيم فالحكم على الشئ فرع عن تصوره ، ومن هنا فإننا سنحاول تحديد مفهوم كل من العروبة والإسلام لنستطيع من خلال ذلك الوصول إلى تحديد شكل العلاقة وطبيعة الحوار بينهما ٠

فالعروبة : تعبير عن الانتماء إلى أمة لها مقومات مشتركة أبرزها اللغة والتاريخ والمصير المشترك ، وهى بهذا المفهوم ليس مذهبا ولا فلسفة ولا فكرا ، وإنما هى " واقعة اجتماعية ونفسية ذات جذور تاريخية " ومن هنا فإن انتماء الجزائرى أو المصرى أو السورى أو البحرينى أو العراقى إلى الأمة العربية لا يمثل انتماءا لمذهب سياسى أو صياغة فكرية معينة وإنما هو جزء من ارتباط عصبى بالمجتمع العربى[1] ٠

أما الإسلام : فهو دين الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام وحتى رسالة محمد – ﷺ – الذى ختم الله به الرسالات استنادا إلى قوله تعالى ((إن الدين عند الله الإسلام))[2] وهو بهذا دعوة شاملة ونظام متكامل بقيم حياة الناس على أساس من الأصول العقائدية والفكرية والتنظيمية التى جاء بها رسول الله – ﷺ – خاتما للأديان ، مفصلا إياها عن طريق الوحى قرآنا يتلى ويعمل به ، وسنة تروى وتتبع ٠

ومن البديهى القول : إن الله تعالى اختار العرب لحمل رسالة الإسلام بناء على ما يتمتعون به من المواهب والقدرات العقلية التى تحتاجها عملية حمل الرسالة وتأديتها ، ولعل أبرز الأدلة على قوة العقلية العربية تلك اللغة التى جعلها الله وعاء للقرآن الكريم مما يدل على نضوج فكر ورقى عقل أهلها لاحتواء أساليب القرآن

١- حوار لا مواجهة د ٠ أحمد كمال أبو المجد ص١٤٥ – ١٤٦ ٠

٢- سورة آل عمران آية ٦٤

الكريم وأغراضه المتعددة من تشريعات ونظم وقصص وأمثال وغيرها[1] الأمر الذى جعلهم مؤهلين للإيمان به وفهم أحكامه ومستعدين للدفاع عنه وقادرين على نشره كما أثبتت الوقائع التاريخية اللاحقة لظهوره ٠

ولهذه الأسباب حق للعرب أن يفخروا بانتمائهم الإسلامى ، فالعربية لسان الإسلام ووعاء ثقافته ولغة كتابه وسنته ، والعرب هم عصبة الإسلام وهم الذين بعث فيهم رسول الله - ﷺ - من أنفسهم يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، لينطلقوا فى الأمم دعاة ومعلمين ، وأرض العرب هى أرض المقدسات الإسلامية (المسجد الحرام) قبلة أهل الإسلام ، نحو شطره يوجهون عبادتهم وإليه يحجون، وبه يطوفون ، ومن حوله يسعون ويقفون ، وفيها أيضا مسجد النبى - ﷺ - مركز العلم الأول للأمة ومثوى رفاته الشريف ، وفيها كذلك المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله[2] ٠

ومن هنا كانت العروبة وثيقة الصلة بالإسلام ، كما أن الإسلام موصول الرحم بالعروبة ، فهو الذى علم العرب من جهالة ، وهداهم من ضلالة ، وأخرجهم من ظلمات الشرك والجاهلية إلى نور الإسلام والتوحيد ، وهو الذى وحدهم بعد فرقة جمعهم من شتات القبيلة ، وأكرمهم بنعمة الأخوة وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله لإخواننا ، وجعل منهم أمة تواجه أعتي أمم الأرض بدينها الذى أصبحت تباهى به وتعتز بقيمه وتنتصر له[3]

إن تعدد الشعوب فى الأمة المسلمة لا يجعل منها مشكلة إذا كان الإسلام الوجه لها والحاكم لتصرفاتها ، فالإسلام يذيب الفوارق بين مختلف الشعوب تدين به ، ويصهر الجميع فى بوتقته ليصبح الاختلاف عندئذ اختلاف تنوع وإثر لا اختلاف تضاد وصراع باعتبار أن ولاء الجميع لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن تباين وجهات

١- فى أصول تاريخ العرب الإسلامى ، شراب محمد الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الأولى ١٩٩٣ م ص ٨ – ٩

٢- الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، د ٠ يوسف القرضاوى / مكتبة وهبة مصر الطبعة الأولى ١٩٩٤م ص ١٣ ٠

٣- المصدر نفسه ص١٤

النظر بين شعوب الأمة لا يلغى اعتزازهم بهذا الدين الذى أكرمهم الله ه ارتضاه لهم ((اليوم أكملت دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا))[1] .

وبناء على هذه المعطيات التى أشرنا إليها فإنه لا تناقض بين الوطنية والقومية والإسلامية والعالمية إذا وضع كل منها فى موضعه الصحيح وفق الفهم والمنهج الإسلامى ، إنما ترفض الوطنية والقومية إذا جعلناها بديلا عن الإسلام أو طعمناها بعناصر غريبة عنها معادية للإسلام أو مناقضة لعقيدته وشريعته مثل " العلمانية " أو " المادية " التى تتضمن محتوى أيدلوجيا بعيدا عن فكر الإسلام ونظرته للحياة إن المسلم الحق هو الوطنى المخلص ، وهو القومى المناضل ، وهو العالمى الأصيل ، وقد اثبتت التاريخ المعاصر أن أبطال الوطنية فى بلادنا العربية والإسلامية كانوا إسلاميين أمثال الأمير عبد القادر فى الجزائر ، وأحمد عرابى فى مصر ، وعمر المختار فى ليبيا ، وعبد الكريم الخطابى فى المغرب ، وأمين الحسينى فى فلسطين ، والشيخ ضارى فى العراق ، ومحمد ناصر فى أندونسيا وأبو الكلام آزاد فى الهند ، وأبو الأعلى المودودى فى باكستان ، وغيرهم الكثير مما يثبت أنه لا يوجد تنافى بين الخصوصية القومية أو الوطنية وبين الالتقاء تحت مظلة الإسلام باعتباره الوطن الأكبر لأبناء الأمة.

واقع العروبة والإسلام وضرورة الحوار :

بعد أن حددنا المفهوم العروبة والإسلام كلا على حدة ، وأشرنا إلى شكل العلاقة التى ينبغى أن تكون بينهما ، وأن الانتماء إلى الإسلام لا يلغى الانتماء إلى الأوطان والأقوام ، نشير هنا إلى واقع العلاقة وضرورة الحوار بينهما فنقول :

يحاول البعض من حملة الدعوة الإسلامية التقليل من شأن العرب والعروبة من خلال إظهار أثر الإسلام وقيمته فى حياة العرب والمسلمين والناس أجمعين ، حتى أن البعض من هؤلاء يحاول إنكار عروبته والتقليل من شأنها فيتساءلون مستغربين ، ومن هم العرب ؟

وفى جانب اخر يقف فريق من دعاة القومية العربية محاولين التقليل من شأن الإسلام والمسلمين ، من خلال إظهار أثر العرب وفضلهم على الحضارة العالمية ويحاول هؤلاء إنكار الإسلام أو التنكر له زاعمين انه ليس سوى صفحة ماضية من

---

١ - سورة المائدة اية ٣

حياة العرب وإذا كان قد صلح للسابقين من أبناء الأمة فإنه لا يصلح للاحقين فى عصر العالم والتكنولوجيا ، ولذلك فهم يصفونه بالرجعية ويصفون أتباعه بالرجعيين والمتخلفين عن ركب الحضارة.

إن نظرة متفحصة وهادئة لواقع العلاقة بين الإسلام والعروبة تثبت أن الخطر على الإسلام لا يتأتى من العروبة ولا من دعاتها المستنيرين ، ولكنه يأتى من أعداء العروبة ومن دعاتها الذين لم يعرفوا أحكام الإسلام ونظمه وقوانينه فجحدوا فضله على العرب ، كما أن الخطر على العروبة لا يأتى من الإسلام ولا من المسلمين المستنيرين ، وإنما يأتى من الذين يحاولون تشويه الإسلام والعروبة على السواء ، ويسعون لتعميق الخلافات بين الأخوة بداعى الخوف والحذر ، وكذلك يأتى من بعض الجهلة الذين لم يصلوا إلى اكتشاف العلاقة التكاملية بين الإسلام والعروبة ، وليس أظلم ممن يصدر أحكاما دون استيفاء ودراسة جميع المعطيات والأدلة والبراهين

إن إطار الحوار الذى نريد تحقيقه بين العروبة والإسلام يفيد أن العروبة واقع تاريخى ، والإسلام دعوة شاملة ونظام مستوعب للحياة ، والحديث عن تناقضهما أو توافقهما حديث لا معنى له أصلا ، ولذلك فإن صيغة الحوار بينهما يعتمد على الأسس التالية[1] :

١- لا يجوز أن تكون العروبة حركة تمزيق للوحدة الإسلامية ، وإنما يجب أن ينظر إليها على أنها دعوة " توحد" وتجميع تعلو على الإقليمية وتحارب نوازع الانحياز الإقليمي الضيق ، وخصمها الأكبر هو الانحصار داخل الحدود الإقليمية وليس خصمها الإسلام بأى معيار من معايير الخصومة.

٢- ليست العروبة موقفا عنصريا يزعم تفوق " الجنس العربى " على بقية الأجناس لأنها بذلك تكون مناقضة لما حرص الإسلام على تقريره من وحدة " النوع الإنساني " ورفض العصبية والعنصرية بكل أشكالها .

٣- إن عملية التوحد العربى التى تمت تاريخيا هى فى الوقت نفسه عملية توحد إسلامى ، فالفتوحات الإسلامية وحركة نشر الدعوة عن طريق التجار إنما

١- حوار لا مواجهة ، د . أحمد كمال أبو المجد ، ص١٤٧ – ١٥٣ .

تمت على يد العرب المسلمين ، مما يؤكد أن نتائجها لم تكن مجرد توحد عربى بل كان فى جوهره توحدا إسلاميا بأيد عربية ٠

٤- إن الدعاة إلى الإسلام اليوم مطالبون بوقفة هادئة أمام الشعارات التى يرفعها دعاة الوحدة العربية ، لأن تلك الوحدة إذا تجردت من العنصرية والعصبية فإن الإسلام سيكون هو المكون الرئيسى لها ، وهذا ليس شرا يستعاذ منه ، بل إنها فى الحقيقة ستكون سبيلا إلى تحقيق الحضارة المنشودة ، وليس أدل على ذلك من أن نبينا محمد - ﷺ - قد بدأ بدعوته من خلالها عملا بقوله تعالى :((وأنذر عشيرتك الأقربين))[١] ثم انطلق بعدها لنشر الإسلام بين سائر الشعوب والأمم ، مما يشير إلى أن هذا المسلك مناسب لأوضاع الأمة وطبيعة تعاملها فى نشر الدعوة وتحقيق دين الله فى الأرض٠

واستنادا على هذه المعطيات التى أشرنا إليها فإنه ينبغى أن يكون الحوار بين العروبة والإسلام قائما على هذه الأسس والقواعد التى تضمن حوارا علميا هادئا بعيدا عن التشنجات العاطفية ، وملبيا لتطلعات الأمة العربية والإسلامية ، محققا للإسلام عالميته وحافظا للأمة خصوصيتها بعيدا عن الإفراط والتفريط ٠

<u>حوار الشعوب مع القادة والحكام :</u>

يعد هذا النوع من الحوار أخطر وأهم أنواع الحوار الداخلى بين أبناء الأمة (الحوار مع الذات) حيث لا يعرف تاريخ الفكر الإنساني قضية ثار حولها الجدل والخلاف مثل ما أثارته قضية نظام الحكم ، وليس غريبا أن ترتفع فى كثير من الأحيان حرارة الحوار ارتفاعا تذوب معه معاني الكلمات والمصطلحات وتختلط بسببه على أطراف الحوار مواضع الخلاف بينهم ، فيتبادل أصحاب تلك الرؤى ألوانا من الاتهامات ٠

أما من وجهة نظر الإسلام فإن إقامة الحكم الصالح جزء من رسالة الإسلام والسياسة الشرعية قسم من اقسام شريعته ، والنبى - ﷺ - كان رسولا ونبيا ، وكان ابتداء من الهجرة حاكما ورئيسا وأميرا للأمة وإن استقراء نصوص القرآن الكريم وسيرة وسنة النبى تثبت أن الإسلام نظام شامل لا يتخلى عن هذا الجانب المهم من جوانب حياة الإنسان ، لأنه إذا كان اجتماع الناس ضروريا للحياة فإن

١- سورة الشعراء آية ٢١٤

حاجتهم لسلطان ينظم ذلك الاجتماع أمر متمم لذلك الاجتماع ، ولهذا يقول الإمام الغزالى (الدين أساس والسلطان حارس ، وما لا أساس له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع)[1]

وإذا أردنا أن نحدد ملامح الحوار الذى ينبغى أن يتحقق بين الشعوب وقادتها فإن ذلك يتطلب منا الوقوف على ما تريده تلك الشعوب من حكامها ،

ولعل أبرز ما تريده الشعوب من الحكام يتمثل فى الأمور التالية[2]:

١- سلطة : سياسية تعتمد رضا المحكومين وقبولهم ، وهو أكر يتفق مع تصور الإسلام وتصور الديمقراطية ، مما يمنح الحاكم شرعية حكمه للجماعة ٠

٢- ضمانات قانونية تضمن للأفراد تمتعهم بالحقوق المدنية والشخصية ، وتمنح الجميع المساواة أمام القانون والقضاء ٠

٣- مجتمع يعتمد العقائد والأخلاق والقيم الفاضلة ، ويستمد أنظمته من شريعة الأغلبية ، وهذا معنى استمداد التشريع من مصادره الإسلامية ٠

٤- منهج عقلى ناضج يتم به تدبير أمور الحكم والسياسة ، وتلبية الحاجات الأساسية للأمة٠

ولا شك أن تحقي هذه الأمور يتطلب جهدا كبيرا وسعيا دءويا وحوار متواصلا بين الرعية والحكام ، لتحديد المشاكل الحقيقية للمجتمع ووضع الحلول المناسبة لها يشارك فى ذلك أهل الرأى وأصحاب المصلحة وأهل الحل والعقد فى الأمة بعيدا عن الأغراض الشخصية والأهواء والرغبات الفردية ٠

وفى ضوء ما تقدم كان مبدأ الشورى الذى أوجبه الله تعالى على رسول الله ﷺ - باعتباره ولى أمر الأمة (وشاورهم فى الأمر))[3]فعلى الرغم من أنه كان يتلقى الوحى عن ربه لكنه مأمور بتطبيق المشورة والأخذ بها ليسن للأمة من بعده قواعد نظام الحكم فى المجتمعات الإسلامية اللاحقة ٠

إن استقراء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وعمل الصحابة رضوان الله عليهم تكشف أن الإسلام قد وضع للحكم مبادئ أساسية وقيما عليا اعتبرها مما علم من

١- الاقتصاد فى الاعتقاد ، أبو حامد محمد الغزالى ،

٢- حوار لا مواجهة ، د٠ أحمد كمال أبو المجد ،ص١٤١

٣- سورة آل عمران آية ١٥٩ ٠

الدين بالضرورة ، وترك للناس بعد ذلك أن يضعوها موضع التطبيق بما يناسب ظروفهم ويلائم مستجدات حياتهم ، وعلى رأس تلك المبادئ كان مبدأ الشورى ومبدأ العدل واحترام حريات الناس وحقوقهم ، ومن هنا فإن الحوار الذى نريده أن ينشأ بين الشعوب وحكامها داخل المجتمعات العربية والإسلامية يجب أن يعتمد على الأسس التالية :

١- أن يتيح الحكام لشعوبهم الحرية الكاملة لأن تقول كلمتها وتبدى رأيها فى مجمل القضايا التى تهم الأمة وقضاياها المركزية ٠

٢- القضاء على أزمة الثقة بين الحكام وشعوبهم التى نشأت بسبب فقدان لغة التواصل والحوار بينهما ٠

٣- سماح الحاكم للرأى الآخر ومحاولة تفهمه واعتماده ، أو مناقشته والرد عليه حين يتطلب الأمر ذلك ٠

وبذلك يسود الحوار الهادف والبناء بين كل من الشعوب وقادتها داخل المجتمعات العربية الإسلامية ، ويصبح هناك مجال للالتقاء والتواصل من أجل تحقيق المصالح العامة للأمة والنهوض بها نحو الغد المشرق ٠

لأن منطق العقل يثبت أن الناس يحتاجون إلى السلطان كما يحتاجون إلى العلماء وأنهم يكونون أقرب إلى الصلاح والخير وأوفر نصيبا منه عندما يلتقى فى حياتهم حزم الأمراء وعدلهم بحكمة العلماء وعلمهم ، وفى هذا يقول رسول الله – ﷺ – : ((صنفان من أمتى إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس ٠العلماء والأمراء))[1] وقد ورد أن أصحاب الحكم والسلطان مسئولون أمام الله تعالى عن رعيتهم ، وأن العلماء كذلك مسئولون عما حملهم من أمانة العلم والبحث عن الحقيقة ونشرها بين الناس مما يشير إلى حتمية التلازم الوثيق بين هاتين الطبقتين فى قيادة الأمة ورعاية مصالحها ٠

وقد حدثنا القرآن الكريم عن ثمرة التعاون بين أهل العلم والثقافة والخبرة والدراية من جهة وبين أهل الحكم والسلطة من جهة أخرى حيث روى لنا قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ التى تلقت جملة من العروض من سليمان فحرصت على يكون

١- الفردوس بمأثور الخطاب للديلمى ، يرويه بن شهردار بن شيرويه الديجيلى ، تحقيق السعيد بن بسيونى زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٦م ج٢ ص ٤٠٢

قرارها مستنيراً بنور العلم مهتديا بنصيحة أهل الخبرة من العلماء ((قالت يأيها الملأ افتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أرما حتى تشهدون))[1] والملأ هم خاصة القوم وأهل الرأي والمكانة فيهم ، كما ورد فى تاريخنا الإسلامى دعوات صريحة إلى ضرورة التعاون بين العلماء والأمراء عملا بهدى القرآن الكريم ((وشاورهم فى المر فإذا عزمت فتوكل على الله))[2] وقد سارت الأمة على هذا الهدى فترة طويلة من الزمن تمثلت فى التعاون الهادئ بين الطائفتين واتسعت صدور الحكام لنصائح العلماء ، وقام العلماء بواجبهم فى تقديم النصيحة وقول الحق وإعلانه بين يدى السلطان ٠ ولكن سرعان ما تغيرت أحوال الأمة واتسعت الفجوة بين العلماء والأمراء وتصور عدد من الحكام أنهم بما يحملون من مسئوليات جسام جديرون بأن يسلم الناس لهم قيادهم بدون مناقشة أو إبداء رأى ، فلا قرار بعد قرارهم ، ولا وجهة للأمة إلا الوجهة التى يريدونها ويختارونها ، وهكذا تكرر فى تاريخنا ما حدث فى تاريخ الأمم والشعوب الأخرى من مواقف الصدام والمواجهة بين السلطة والمثقفين من أبناء الأمة ما حصل حتى سجن منهم من سجن ، وشرد منهم من شرد ، وآثر الصمت من عجز عن المواجهة وتحمل تبعات الصدام بسبب بعض القضايا الفقهية والفكرية والفلسفية ، وتطور الأمر مع تتابع حلقات التاريخ فلم تعد تلك القضايا الفكرية محور الصراع فى علاقة المثقفين بالسلطة ، وإنما صارت القضايا السياسية والاجتماعية هى محور المد والجزر فى رسم معالم تلك العلاقة ٠

ويروى الدكتور محسن عبد الحميد[3] : إنه لابد من القيام بنقد تاريخى شامل لنظام الحكم فى المجتمعات الإسلامية من بعد معركة صفين وإلى اليوم ، وإثبات أن الاستفراد بالحكم والاستبداد فيه الذى كان سائداً فى فترات متعددة من تاريخنا ، مخالف لنظام الحكم الشورى فى الإسلام مخالفة أكيدة ، وإنه جلب على الأمة الإسلامية عبر العصور مآس جمة وخراباً شاملاً ، وإنه من أعظم أسباب سقوط المجتمع الإسلامى وأزماته قديماً وحديثاً٠

١- سورة النمل آية ٣٢

٢- سورة آل عمران آية ١٥٩

٣- Islam on line، net موقع الإسلام على الإنترنت (الإسلام وقضايا العصر – الثقافة الفكرية) عنوان الدراسة : العولمة من منظور إسلامي للدكتور محسن عبد الحميد ٠

إن نظام الشورى فى الإسلام كما طبقته الرسول – ﷺ – وخلفاؤه الراشدون ، وكما يمكن أن يلجأ اليوم إلى الآليات والأساليب المعاصرة المنسجمة مع روح الإسلام لتحقيق مقاصد الشورى ، هو الذى يحقق كرامة الإنسان المسلم ، ويعيد إليه حقه فى المعارضة والتعبير عن آرائه بحرية أخلاقية منضبطة .

إن العقلاء جميعاً متفقون على أنه ما من مصيبة من مصائب هذا القرن ، قد حلت بالإسلام والمسلمين إلا كانت نتيجة مباشرة لصراعات الحكام فيما بينهم واستبدادهم بالرأى ، ومحاربتهم لأهل الرأى السديد وعدم سماعهم قول الحق وعدم رجوعهم إلى موازين الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا . فضلا عن ارتباط كثيرين منهم بأعداء الأمة والدين .

إن معظم حكام المسلمين فى القرن الأخير قد أحدثوا فرقة كبيرة بين المسلمين ، أو لم يهيئوا صفوف الأمة للجهاد والحركة والتغيير والبناء ، وضيعوا ثروات الأمة على مباذلهم وقصورهم ، وعلى حياة البذخ والفخفخة الفارغة ، أو على حروب خاسرة لم يخططوا لها ولم تكن لهم فيها إرادة للقتال أصلا .

إن نتيجة تلك السياسات هى التى أدت إلى طغيان الصهيونية واستيلائها على أرض فلسطين ، وهى التى تؤدى اليوم إلى خطر طغيان العولمة الشرسة علينا

إننى أكاد أجزم مع الجازمين أن أى إصلاح لا يمكن أن يجرى على أصوله الصحيحة فى بلاد الإسلام ، ما لم تتغير طبيعة النظام السياسى فى بلاد الشام ، من الاستبداد إلى الشورى ، ومن مصادرة الرأى إلى الحرية فى الرأى والمعارضة ، ومن مصالح الأفراد والأسر إلى مصالح الأمة من حيث هى كل لا يتجزأ ومن حكم الحكام إلى المؤسسات الدستورية .

وهذا هو سر حرص أمريكا واليهودية العالمية ومن شاكلهما من دول "طغيان على إبقاء الوضع السياسى فى العالم الإسلامى على ما هو عليه ؛ لأنه يجلب لهم الأمن والأمان والسكوت على جرائمهم بحق الإسلام والمسلمين .

وإذا أردنا أن نتحدث عن طبيعة العلاقة بين المثقفين والحكام هذه الأيام فإن ذلك يتطلب تحديد جملة من المعطيات التى تمر بها أنظمة الحكم المعاصرة من حيث طبيعتها وعلاقتها بالنخبة من أبناء الأمة ، والتى تتمثل بما يلى :

١- إن أنظمة الحكم المعاصرة ينبغى أن لا تبقى أنظمة فردية خالصة تعتمد على رأى الشخص الواحد ، بل يجب أن تأخذ طابع المؤسسة أو مجموعة المؤسسات بحيث يتراجع معها إلى حد كبير الدور الشخصى للحاكم •

٢- إن مهمة الدولة الحديثة اليوم هو البحث عن حلول عملية للمشاكل المعقدة التى تواجه المجتمعات ، الأمر الذى دفع إلى الإحساس بالحاجة إلى ضرورة ترشيد قرارات أجهزة الحكم وإلى عظم المسئولية الملقاة على عاتق العلماء والمثقفين فى المعاونة على هذا الترشيد وإبداء النصح والتوجيه •

٣- إن اتخاذ القرارات السياسية والاجتماعية من قبل الحكام أصبح اليوم بحاجة إلى هيئات متخصصة من العلماء تقدم المشورة والنصيحة فى معالجة الكثير من المشاكل التى تتعرض لها المجتمعات ، ولم تعد الفطنة وسلامة النظر كافية لمواجهة تلك المشاكل ، بل لابد من الدراسات المنهجية التى يقوم بها المتخصصون من أهل الخبرة والدراسة والفكر لمعاونة الحاكم فى اتخاذ القرار •

لكن الملاحظ من خلال المتابعة لما يجرى فى العالم العربي والإسلامي أن وسائل الترغيب والترهيب التى يلجأ إليها الحكام لمواجهة المثقفين أو احتوائهم أو إبعادهم عن مصادر اتخاذ القرار عملت على عدم التواصل والتحاور بين المثقفين أو احتوائهم أو إبعادهم عن مصادر اتخاذ القرار عملت على عدم التواصل والتحاور بين المثقفين من جهة والحكام والقادة من جهة أخرى ، فقد عملت مؤسسات الدولة وأجهزتها وتنظيماتها على إغراء واستقطاب عدد ليس بالقليل من المثقفين والعلماء من أصحاب الفكر والرأى تستهويهم بالاقتراب منها والارتباط بمؤسساتها ، وقد ساعد على ذلك رغبة البعض منهم فى الإفادة من الجاه والمال والمنصب الذى توفره له تلك المؤسسات لغرض الإرتقاء بالمستوى الاجتماعى لهم وتأمين حياتهم الخاصة ، وهذا لاشك منزلق خطير لأنه يدفع صاحبه إلى التخلى شيئا فشيئا عن أمنة العلم التى تحملها ومسئولية الفكر التى يجب أن ينهض بها مما يمنعه من الجهر بالحق وإعلانا لرأى ، والأخطر من ذلك أنه ينحدر شيئا فشيئا فيصبح يرى الأمور كلها بعين السلطة ويزنها بموازينها ،وبذلك يفقد دوره التوجيهى فى النصح والإرشاد ويتخلى عن القيام بحق العلم الذى تعلمه والحكمة التى أوتيها•

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل تعدى على أنه كلما انزلق فريق من العلماء والمثقفين إلى أن يكونوا جزءا من حاشية السلطة وبوقا من أبواقها ، كلما تعرض

فريق آخر منهم لمزيد من الضغط النفسى والاجتماعى وصار من اليسير اتهامهم بأنهم يسرفون فى النقد ويتشددون فى المعارضة وأن ولاءهم للحكم القائم ولاء منقوص ومشكوك فيه ، حتى يحال بينهم وبين إبداء الرأى والمشورة وممارسة النصح والتوجيه فيحرموا بذلك حقا طبيعيا لهم وتحرم الجماعة والأمة من خبراتهم وآرائهم مستغنين عن ذلك بموافقة الموافقين وتأييد المؤيدين ممن لا يخلصون فى النسيحة ولا يجهرون بالرأى ، الأمر الذى خلق أزمة حقيقية فى علاقة السلطة بأبنائها من المثقفين والعلماء والمفكرين المحايدين ٠

ونتيجة لذلك كله ، تصاعد المثقفين بالأزمة واشتد شعورهم بالإحباط وساء ظنهم بالمؤسسة الحاكمة ، بسبب عدم الاستعانة بأهل الخبرة والدراية من أهل الحل والعقد بالأمة القادرين على ترشيد مسيرة العمل الوطنى وإنقاذه من عثرات الزمن ومشاكله المعاصرة ، وقد أحدث ذلك مشكلة أخرى تتمثل فى أن الكثير من الحكام تصوروا أن توجيه النقد وإبداء النصح فى الساعات العصيبة التى تمر بها الأمة نوع من المقامرة العزلة والانكفاء عن الحياة العامة للأمة ولا شك أن كلا الحالتين ينذر بخطر كبير يعود على الأمة بكوارث وخيمة عليها وهنا يأتى دور الدعوة إلى الحوار والتواصل بين هاتين الطبقتين التى بأياديهما خلاص الأمة مما يحصل لها من مشاكل وأزمات ٠

الخاتمة

من خلال ما سبق نستطيع أن نحدد برنامجا للحوار وعلاج أزمة الثقة والتصديق بين الحكام والقادة من جهة وبين العلماء والمثقفين من جهة أخرى بما يلى :

١- أن يدرك الحكام أن المثقفين ليسوا خطرا على أحد منهم ، فهم أصحاب رسالة ورأى وفكر ، وإن أقصى ما يملكونة هو التعبير عن هذا الرأى والفكر بأقلامهم وألسنتهم إذا ما أتيح لهم الجو المناسب لإبداء الرأى وتقديم النصيحة ٠

٢- أن يعمل الحكام على استيعاب المثقفين داخل تيار العمل الوطنى باعتبار ذلك جزءا من مسئوليتهم ، بدلا من الحرص على إسكاتهم أو شراء ذممهم أو احتوائهم لأن بقاء المثقفين خارج دائرة اتخاذ القرار ينطوى على خسارة فادحة لأمة ويترك السلطة مهما بلغ صلاحها بعيدة عن خبراتهم ودرايتهم تواجه لوحدها ألوانا من المشاكل والتحديات التى لا يصلح لمواجهتها أسلوب التجربة والخطأ والعمل العفوي الذى تتحكم فيه اختيارات ذاتية فردية ٠

٣- أن يدرك المثقفون حجم التحديات القائمة ، وفداحة الأخطار المحيطة ، وأن دورهم العلمى والتوجيهى يتطلب منهم أن يقدموا أكثر من النصيحة المجردة التى يلقيها صاحبها من برجة العالى ثم يمضى وهو يقول ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، وإنما يجب عليهم المشاركة الحقيقية فى توجيه الناس وتبليغهم ، لأن المرحلة الحرجة من حياة الأمم تتطلب عملا دءوبا واقترابا من صنع القرار واستعلاء على كلمات التجريح واتهامات الجرى وراء المصالح الذاتية ٠

٤- أن يبتعد المثقفون عن دائرة الرؤية الواحدة ، وأن يتعاملوا مع الأحداث التى يعيشها المجتمع بمرونة كاملة وعقلية متفتحة بعيدة عن التشنجات العاطفية انطلاقا من الحرص على مصلحة الأمة وتقديمها على المصالح الشخصية الضيقة ٠

ولا شك أن هذا البرنامج من الحوار يتطلب تأمين جو من الحرية الكاملة الذى هو الضمان الكبير لانطلاقة هذه الجهود الخيرة التى يتقارب بها الحكام والمثقفون ويلتقى فى ظلالها سيف الحكم وميزان العدل والحكمة ٠

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، ،

المصادر والمراجع

١- الحوار الإسلامي المسيحي (ضرورة المغامرة) د ٠ سعود المولى ، دار المنهل اللبناني – بيروت ٠ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م ٠

٢- زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ، عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى ، المنكتب الإسلامي بيروت – ط الثالثة ١٤٠٤ هـ ٠

٣- فتح القدير ، محمد بن على الشوكانى ، دار الفكر بيروت ٠

٤- صراع المذهب والعقيدة فى القران ، عبد الكريم غلاب . دار الكتاب اللبنانى بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٣ م ٠

٥- الإتقان فى علوم القران ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، دار المعرفة بيروت ٠

٦- مجمع الزوائد على بن أبى بكر الهيثمى ٠

٧- علم نفس الدعوة ٠ محمد زين الهادى ، نشر الدار المصرية اللبنانية ط الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٠ م ٠

٨- صحيح البخارى ، محمد بن إسماعيل البخارى ٠

٩- البداية والنهاية لابن كثير ، إسماعيل ابن عمر بن كثير الدمشقى ، دار أبى – حيان القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦ ٠

١٠- محاضرات فى الأدب والنقد ، د٠ أحمد محمد الطريس ، محاضرات غير مطبوعة القيت على طلاب السنة الرابعة فى قسم اللغة العربية – كلية التربية بصحار ، سلطنة عمان للعام الدراسى ٢٠٠١/٢٠٠٢ ٠

١١- فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الخامسة والعشرين ١٤١٧هـ١٩٩٦م ٠

١٢- جامع العلوم والحكم ٠ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلى ، دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ٠

١٣- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالى ٠

١٤- التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المساوى ٠

١٥- تفسير المراغى ، أحمد مصطفى المراغى ، تحقيق باسل عيون السود ، منشورات محمد على بيضون / دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨ م ٠

١٦- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيرى ٠

١٧- المستدرك على الصحيحين . للحاكم ٠

١٨- مسند أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبلى ، مؤسسة قرطبة مصر ، بدون تاريخ
١٩- الحوار من أجل التعايش د ٠ عبد العزيز بن عثمان التويجرى ، دار الشروق القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨ م ٠
٢٠- الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، تحقيق وتقديم د٠ محمد عماره ، دار الشروق القاهرة ١٩٩٣ ٠
٢١- ما لا يجوز فيه ، عبد الجليل عيسى ، دار البيان الكويت ١٣٨٩هـ١٩٦٩ م ٠
٢٢- تاريخ الفقه الإسلامى ، د ٠ عمر سليمان الأشقر دار النفائس عمان الأردن ، مكتبة الفلاح الكويت الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ١٩٩١م٠
٢٣- معجم البلدان لياقوت الحموى نشر مطبعة الخانجى وشركاه ، الطبعة الأولى ٠
٢٤- مختصر كتاب المؤمل لأبى شامة ، مجموعة الرسائل المنبرية ، إدارة الطباعة المنبرية / بدون تاريخ ٠
٢٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين لا بن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الدمشقى ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل بيروت ١٩٧٣ ٠
٢٦- شعب الإيمان البيهقى ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، تحقيق محمد السعيد بسيونى زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ
٢٧- سنن الدار قطنى ، أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى ، تحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى ، دار المعرفة بيروت ١٣٨٦ه ١٩٦٦م ٠
٢٨- حوار لا مواجهة ، أحمد كمال أبو المجد ٠
٢٩- في أصول تاريخ العرب الإسلامى ، شراب محمد الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الأولى ١٩٩٣ م ٠
٣٠- الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، د ٠ يوسف القرضاوى / مكتبة وهبة مصر الطبعة الأولى ١٩٩٤م ٠
٣١- الاقتصاد فى الاعتقاد ، أبو حامد محمد الغزالى ٠
٣٢- Islam on line. موقع الإسلام على الإنترنت (الإسلام وقضايا العصر — الثقافة الفكرية) عنوان الدراسة : العولمة من منظور إسلامي للدكتور محسن الحميد ٠